

الطّاعة المرتجاة

إنّها فضيلة من الفضائل ، تشقّ طريقها عبر أنفاق القلوب الضيّقة ، وبصعوبة كبيرة تخترق أبوابها الحجرية لتستقرّ فيها مرتعشة مرتعبة من عتمة العصيان المنسدلة حتّى الأعماق ، الطّاعة المغبوبة رائدة ملكوت السّموات .

إذا كان العصيان سبب تغرّبنا من الفردوس ، فالطّاعة وسيلة كافية لإعادتنا إلى رحاب الأقدار السّماوية ...

الطّاعة ، قبل كلّ شيء ، هي أن تفرغ ذاتك من مشيئتها بإرادتك الكلّية ، وتفتح أبواب نفسك على مصراعيها لتملأها خضوعاً لله لا ريب فيه . حينئذ ، يزهر فيك الاستسلام ربيعاً أبدياً ...

الطّاعة هي أن تمحو من فكري كلّ ما تعتبره حكمة وفهماً وعلماً ورجاحة ، عند ذلك ، يخطّ الله عليه بإصبعه وصاياه المقدّسة ، ويشكلها بالنعمة الإلهية ، فيستقيم هذا الفكر بين يديك كلّوحيّ العهد بين يديّ موسى ، فتضحى للعليّ كليماً ...

الطّاعة هي أن تنظّف قلبك من شهواتك بدموع توبتك ، وتقلب منه عروش آلهتك المزيّفة بقوة أمانتك ، وتحرق فيه أشواك آثامك بنار غيرتك ، وتحطّم صلابته بمطرقة نهّداك ؛ وقتئذ ، يغرّس الله فيه عود الحياة ، ويسقيه من جداول نعمه ، فيستحيل ملكوتاً ترتاح فيه مع الملك السّماويّ على أريكة العشق الإلهيّ ...

معلّم الطّاعة الأوّل هو يسوع المسيح الذي ، وهو الإله القدير المنزّه عن الهيولى ، اتّخذ جسداً هيولياً من العذراء مريم . والذي لا يسعه الكلّ ، سكن في أحشاء امرأة محدودة . الإله السيّد قبل أن يصير عبداً . جابل الإنسان بيديه ، صار إنساناً مجبولاً . الذي هو فوق الكلّ ، ارتضى أن يأخذ صورة الإنسان السّاقط لينهضه من سقوطه ويصلح ما تشوّه فيه . الذي خلا من

خطيئة حَمَلَ خطايا العالم مَسْمَرًا إِيَّاهَا عَلَى الصَّليب لِيَحْرِرَهُ مِنْهَا . العَادمُ النَّالِمُ وَالْمَنْزَرُهُ عَنِ الْمَوْتِ ، ارْتَضَى أَنْ يَتَأَلَّمَ بِالْجَسَدِ "فَأَطَاعَ أَبَاهُ حَتَّى الْمَوْتِ ، مَوْتَ الصَّليبِ ... " ¹ .
الْمَعْطَى الْحَيَاةَ لِكُلِّ نَسْمَةٍ ، ثَوَى فِي قَبْرِ لَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِيُعْتَقَ الثَّوَابِينَ فِي الْقُبُورِ مِنْذُ الدَّهْرِ مِنَ الْمَوْتِ الْمَبِينِ

وَبَعْدَهُ ، نَتَعَلَّمُ مِنَ طَاعَةِ الْعِذْرَاءِ مَرْيَمَ لِسِرِّ اللَّهِ الْمَدْفُونِ فِي الْكُتْمَانِ مِنْذُ الدَّهْرِ .
فَالْمُتَحَصِّنَةُ فِي الْهَيْكَلِ ، أَذْعَنْتْ لِلخَطُوبَةِ . وَالْمُتَشَحَّةُ بِالْعَفَّةِ نَذْرًا لِلْعَلِيِّ ، قَبِلَتْ بِالْأُمُومَةِ الْإِلَهِيَّةِ .
الْمُنَاجِيَةُ لِلْقَدِيرِ ، ارْتَضَتْ بِإِيْمَانٍ بِشَارَةَ مَلَائِكِيَّةٍ بِالْحَبْلِ الْعَجِيبِ . وَبِتَوَاضُعٍ عَمِيقٍ ، اسْتَسَلِمَتْ
كَلِمًا لِمَشِيئَةِ اللَّهِ قَائِلَةً : " هُوَذَا أَنَا أُمَّةٌ لِلرَّبِّ ... " ² . وَطَاعَةَ لِلأَمْرِ الْإِلَهِيِّ قَدَّمَتْ شَرَفَ عِذْرِيَّتِهَا
لِلْمَلِكِ السَّمَاوِيِّ ، فَأُضْحَتْ عُرُوسًا لِلخْتَنِ ، وَأُمًَّا لِمَنْ هُوَ بِلَا أُمٍَّ مِنْ جِهَةِ لَاهُوتِهِ ، وَعُرُشًا أَنْبِيَاءًا
لِلْمُتَعَرِّشِ فِي أَحْضَانِ أَبِيهِ أَزَلِيًّا ، وَهَيْكَلًا لِلْجَالِسِ عَلَى الشَّارُوبِيمِ ، وَجِرَّةً ذَهَبِيَّةً لِمَنْ هُوَ عَلَى
السَّارَافِيمِ

إِنَّ الْوَقْتَ يَضِيقُ بِي إِذَا تَكَلَّمْتُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالصَّادِقِينَ ، الشَّهْدَاءِ وَالْمُعْتَرِفِينَ ، النَّسَاكِ
وَالْقَدِيسِينَ ... الَّذِينَ بِطَاعَتِهِمُ الْمَتَوَاضِعَةَ اسْتَمَطَرُوا رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَتَكَلَّلُوا بِرِضَاهِ ، فَلَبَسُوا ثَوْبًا
نَاصِعَ الْبِيَاضِ مَزِينًا " بَدَمِ الْحَمْلِ الْمَذْبُوحِ مِنْ أَجْلِنَا مِنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ " ، وَاتَّشَحُّوا بِالْخُلَاصِ
رِدَاءً أَرْجَوَانِيًّا مَخْضَبًا بِدِمَاءِ جِهَادَاتِهِمْ وَأَلْمِهِمْ ، فَسَارُوا بِأَقْدَامِ مُتَهَلِّلَةٍ فِي طَرِيقِ الْمَلَكُوتِ ،
الَّذِي خَسِرَهُ آدَمُ بِسَبَبِ عَصِيَانِهِ

وَنَحْنُ الْيَوْمَ ، الَّذِينَ دَعَانَا اللَّهُ "أَبْنَاءَهُ" ، هَلْ وَصَلْنَا إِلَى مَلَأِ قَامَةِ الْبِنُوءَةِ هَذِهِ ؟ الْإِبْنِ
يُطِيعُ أَبَاهُ لِأَنَّهُ يُحِبُّهُ . فَمَا هُوَ مَقْيَاسُ مَحَبَّتِي لِلَّهِ ؟ الطَّاعَةُ الْكَلِمِيَّةُ لَهُ ! فَكَيْفَ أُطِيعُ مَنْ لَا أَعْرِفُهُ ؟
وَإِنْ عَرَفْتُ الْكَامِلَ ، هَلْ أَنْكَرُ مَعْرِفَتِي النَّاقِصَةَ لِأَبْدَأُ بِالْحَبِّ ؟

¹ فيلبي 2: 8

² لوقا 1: 38

الطاعة تلد التواضع ، والتواضع المرصع بالعشق الإلهي إذا نضج ، يلد الخلاص عبر
قنوات النعم الإلهية .

هناك من يلون وصايا الله لمآربه الشخصية ولإراحة ضميره . وهناك من يصم آذنيه عن
سماعها لأنها لا تناسب حياته الخليعة . وبعضهم يقول إنها كتبت للأجيال الغابرة ، فنحن الذين
في عصر التطور والتكنولوجيا لم تعد تنفعنا وصايا بالية أما بعضهم الآخر ، فيسمع هذه
الوصايا ، إلا أن صعوبة المعيشة وتضخمها تمنعانه من العمل بها ، فيبقى دون الطاعة لها . لكن قلة
قليلة تؤمن وتعمل بها لأنها تحب ... !

كل وصايا الله موحى بها في الكتاب المقدس وتعاليم كنيستنا المقدسة . فأنت مدعو إلى
أكل هذا الكتاب ، وإلى ملء جوفك منه ³ . حتى إذا ما سكن روح الله فيك ، سلكت في
فرائضه وحفظت أحكامه وعملت بها ، فتكون شعبه ويكون هو إلهك ⁴ . حينئذ ، تصرخ مع داود
النبي : " ما أحلى كلمتك في حلقي ، هي أحلى من العسل في فمي " ⁵ .
إن الطاعة لله في هذا الزمن تسبب المتاعب والمصاعب لروادها . لكن نعمة الله القدير
تسندهم وتقويهم وتشددهم وتنير خطواتهم ⁶ ، لا بل إن الله نفسه يحارب معهم جنباً إلى جنب ⁷
لذلك ، فهم سوف يغلبون وإن بدوا منهزمين ، وسيقومون وإن وجدوا مائتين
وأخيراً ، أهتف مع داود النبي القائل : " صغير أنا وحقير ، لكنني لا أنسى أوامرك .
عدالتك عدلٌ إلى الأبد وأحكام شريعتك حق " ⁸ .

" ضللت كالخروف الضائع ، فابحث يا رب عن عبدك ، أنا لا أنسى وصاياك " ⁹ . آمين .

³ حزقيال 3 : 1-3

⁴ حزقيال 36 : 27-28

⁵ مزمور 118 : 103

⁶ مزمور 118 : 105

⁷ مزمور 118 : 25-32

⁸ مزمور 118 : 141 9 مزمور 118 : 176

